سُلّم من شَعَر

القصص العالمية المصورة



دار المعرفة
بيروت

سُلّمٌ مِنْ شَعْر

قصّة مقتبسة عن رائعة الكاتبين الألمانيّين يعقوب ووليم غريم: "رابونزل" (Rapunzel) أعيد سردها لنا في أجواء شرقيّة وفي تسلسل منطقيّ للأحداث يقرّب القصّة من الواقع ويُدخلها عالم القصص التربويّة الهادفة.

الناشر

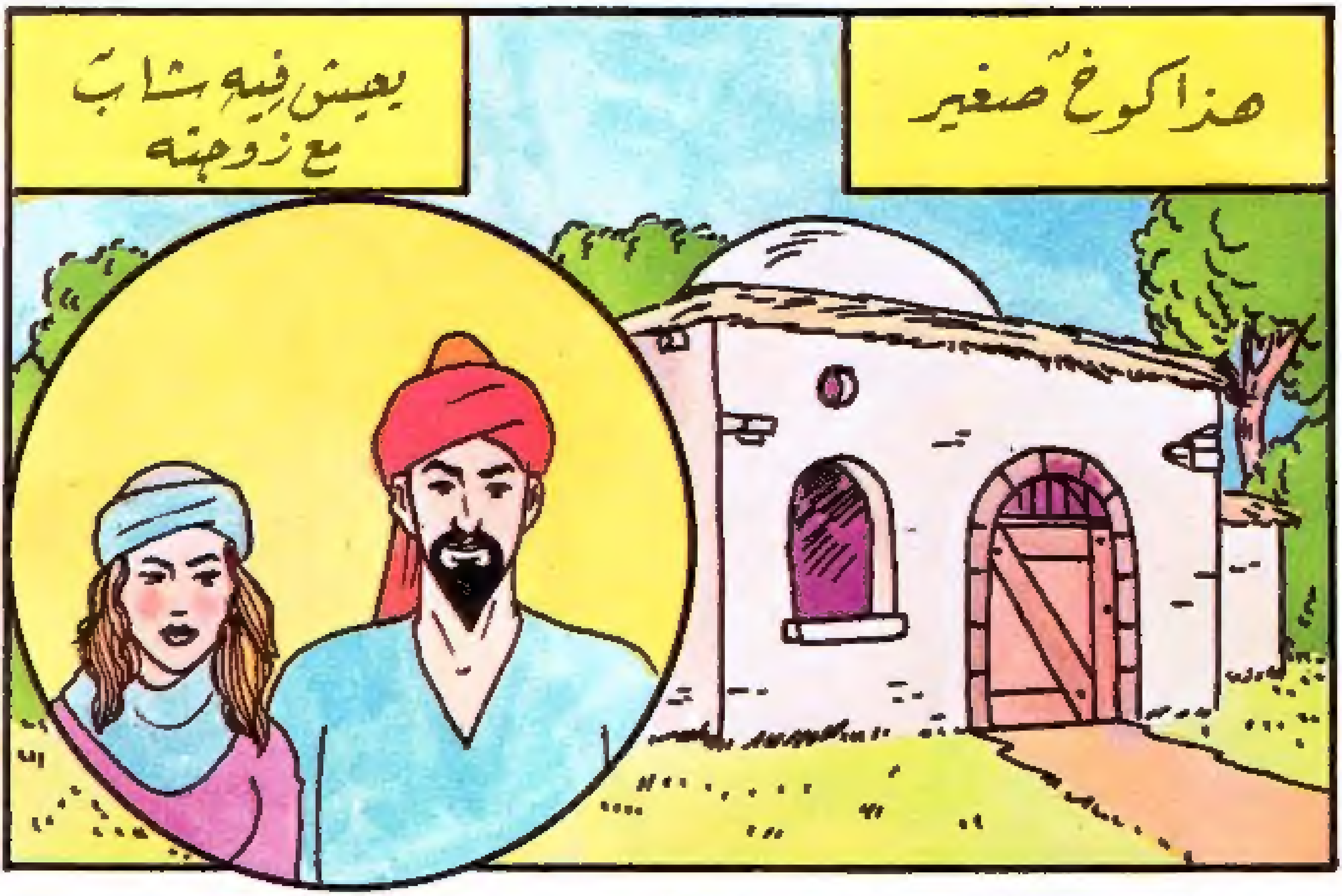
رسوم: أحمد ومريم الخطيب

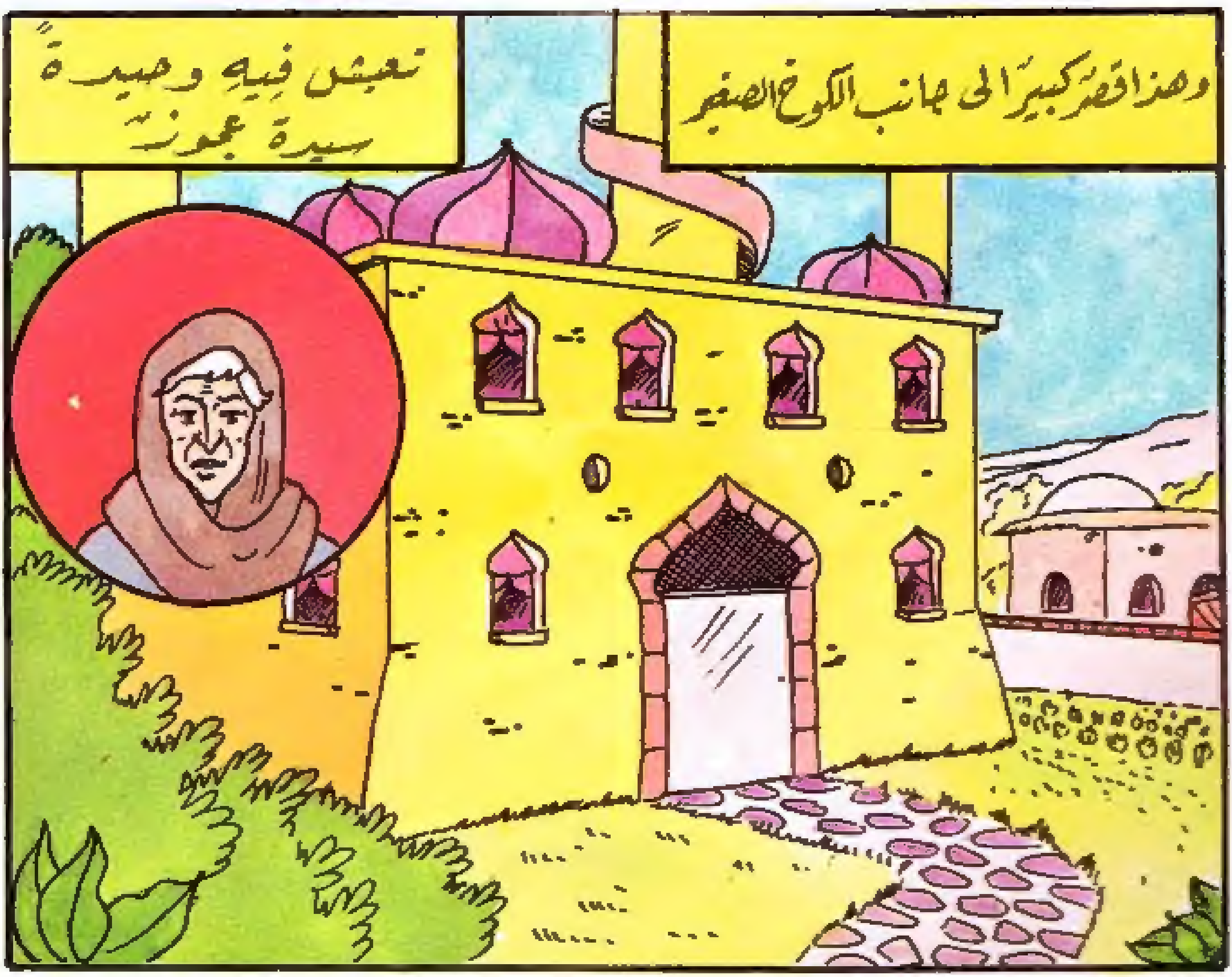
خطوط: صلاح الشامي

إعداد: كفاح فاخوري

بيروت - ص. ب ٧٨٧٦


سُلَّم مِن شَعْر


هذا كوخٌ صغير
يعيش فيه شاب مع زوجته


وهذا قصرٌ كبيرٌ الى جانب الكوخ الصغير
تعيش فيه وحيدةً سيدةٌ عجوزٌ



* مساكب (جمع مسكبة) مكانٌ تبذرُ فيه البذور .


في تلكَ الليلةِ نامتِ الزّوجةُ وهيَ تحلُمُ بالخضار.
وعندَ منتصفِ الليل ...
إستيقظْ أرجوك.
ما بكِ؟ هل تشعرين بأيّةِ آلام؟
لا .. إنما اشتهي أن آكل الخضار.
الآن .. والمتاجرُ مقفلة!
لا .. أريدُ الخضار من حديقةِ جارتنا.
ولكنّ الجارة نائمة .. لا استطيعُ أن أوقظها في مثلِ هذا الوقتِ المتأخرِ لأطلبَ منها بعضَ الخضار.



لا ضرورة لأن توقظها .. ادخل بنفسك الحديقة واجمع بعض الخضار .
ولكن هذا سرقة !
لا ليس بسرقة .. غداً صباحاً ، إذا شئت يمكنك أن تشرح للعجوز السبب الذي دفعك إلى دخول حديقتها وهي نائمة .
وبعد نقاش طويل ، اقتنع الزوج بفكرة زوجته فارتدى ثيابه ...
وخرج من كوخه باتجاه سور حديقة العجوز .


تقفزُ مِنْ فوقِ السُّورِ ...
وبدأ يجمعُ الحصَادَ ...
هذا يكفي الآنَ .. فلأخرُجْ .
في هذهِ الأثناءِ ، وفي غرفةِ نومِ العجوزِ ...
أسمعُ حركةً غريبةً في الحديقةِ .. فلأنظُرْ مِنَ النّافذةِ .
هاي .. هاي .. مَنْ أنتَ ؟ ماذا تفعلُ في حديقتي ؟


أأُخبرها مَن أنا أم أهرب؟ رُبما عرفتني! سأخبرها مَن أنا وأظنُّ أنها ستُسامحني متى عرفتِ السَّبب.
واقترب من النافذة حيث تقفُ العجوز.
أرجوكِ قدِّري موقفي.. أنا جارُكِ أسكنُ في الكوخ المقابل.. زوجتي حامل، أحبَّت أن تأكل الخضار في مثل هذا الوقت المتأخر، ولمّا كانت جميعُ الدكاكين مُقفلة، وحتى لا أُوقظكِ، دخلتُ الحديقة...
زوجتُكَ حامل! إذا كان الأمر كذلك بإمكانك أن تذهب بسلام.
شُكرًا.
وهمَّ بمغادرةِ الحديقة...
مهلًا.. مهلًا..
!


واستدار ...
نعم !
?
لي طلبٌ .
قولي ياسيّدتي .
أُتمنّى أن تسمحَ لي بزيارةِ زوجتِكَ بعد أن تَلِد .
أهلًا بكِ في أيِّ وقتٍ تريدين .

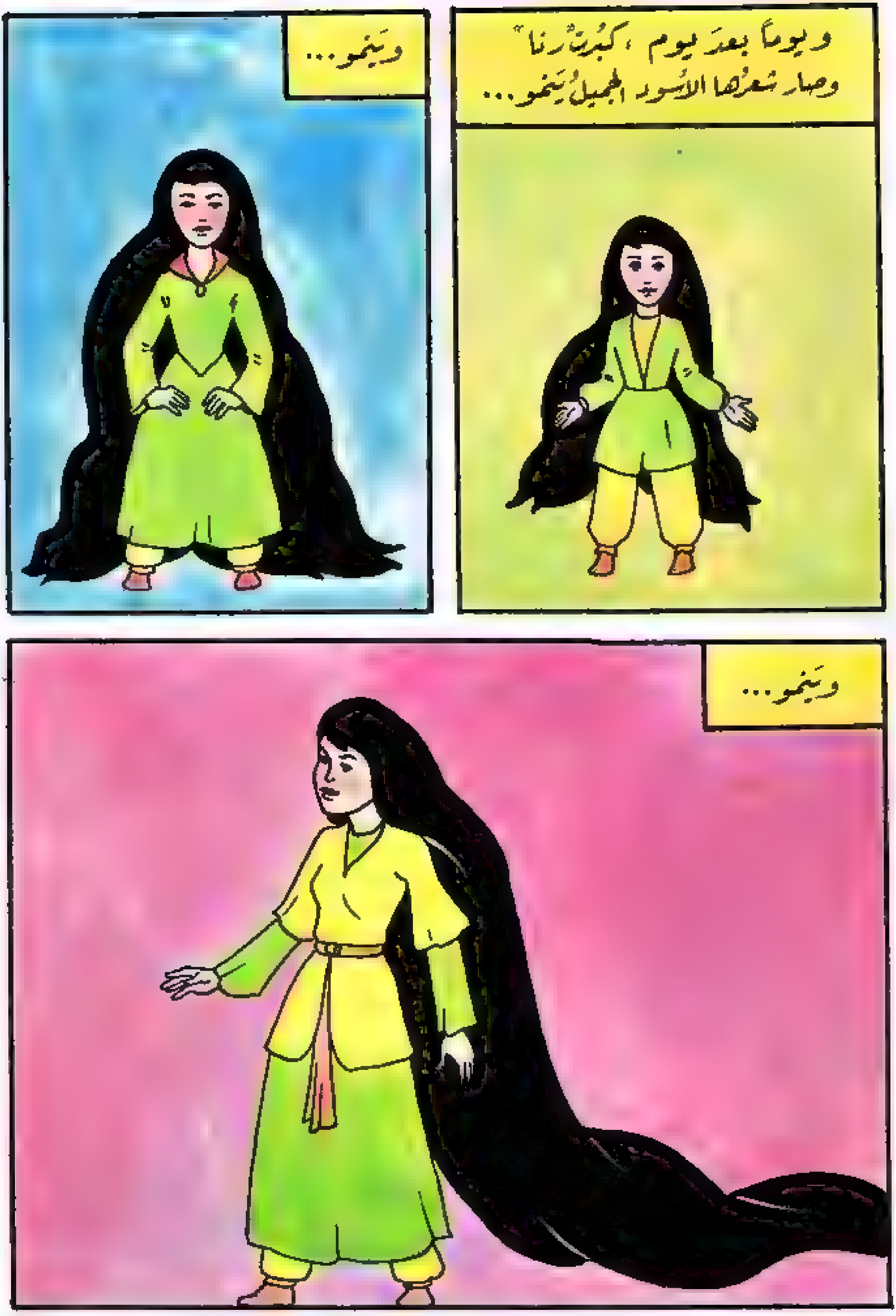

مضت فترة من الزمن على حادثة دخول الرجل حديقة العجوز. أثناء هذه الفترة، أنجبت الزوجة طفلة أسمتها "رنا".
أليست جميلة؟ شعرها الأسود جذاب.. إنها أجمل فتاة في الدنيا.
ليحفظها الله لنا.
وأخذت الجارة العجوز تتردد على الزوجين وطفلتهما.. فتعلقت بالطفلة وتعلقت الطفلة بها.
إنني أحبها كثيرا.. كم أتمنى أن أبقى بقربها ليل نهار.
أنا أعيش بمفردي.. ما رأيكما أن تتركا هذا الكوخ وتأتيا لتعيشا معي في القصر.. فأسعد بالطفلة وأعاملها كابنتي ويكون القصر لكما من بعدي؟


بعدَ ذهابِ العجوز ..
لو عملتُ طيلةَ عمري فلن أُحقّقَ لإبنتي بيتاً يوازي قصرَ العجوز .
كلامُكَ صحيح.


وهكذا انتقلَ الزوجانِ وابنتُهما ليعيشوا في قصرِ العجوز .


وفي أحد الأيام وبينما كانت الزوجة تداعب ابنتها "رنا" ...
أتمنّى أن يمنحكِ اللهُ في المستقبل زوجاً له جمالك وطيبة قلبِ والدِكِ وتراها السيدة العجوز.
إذاً سيأتي يومٌ تتزوّجُ فيه "رنا" وتتركني وحيدة.
لا.. لا.. لا يُمكنني أن أتصوّر نفسي و"رنا" بعيدةً عنّي.
يجبُ أن تبقى لي وحدي.. حين تكبرُ ستقنعُها أمُّها بالزواج فتتركني.. عليّ أن أُبعدها عن والديها.. سأترك لهما القصر وأنتقلُ بها إلى مدينةٍ أخرى.


وفي صباحِ اليومِ التالي ...
سآخذُ "رنا" في نزهةٍ قصيرةٍ.
ولكنّ النزهةَ طالت ...
تأخّرتا .. أرجو ألاّ يكونَ قد أصابَهما مكروه.
سأبحثُ عنهما في كلِّ مكانٍ .. لن أرجعَ قبلَ أن أجدَهما.
لكنّهُ رجعَ من دونِ أن يعثرَ على أيِّ أثرٍ للعجوزِ وابنتِه.
أشعرُ وكأنّنا لنْ نقابلَهما بعدَ اليوم.
كفى كفى .. سترجعانِ بإذنِ الله.
في هذهِ الأثناءِ، كانت العجوزُ تبلغُ ومعها "رنا" مدينةً ثانيةً.
هُنا سنعيشُ من الآنِ وصاعداً وستبقينَ لي وحدي.


ويوماً بعد يوم، كبُرتْ رنا
وصار شعرُها الأسود الجميل ينمو...
وينمو...
وينمو...



وتعرّفت العجوز في مكانِ إقامتِها الجديد إلى جارةٍ طيبةِ القلبِ لكنّها ثرثارة .
مضت إثنتا عشرة سنة ونحن جيران ولطالما أحببتُ أن أطرح عليكِ هذا السؤال .
تفضّلي .
"رنا" كبرت وصارت شابّة .. وابني "سمير" كبر وصار شاباً هو أيضاً .. ما رأيكِ لو يتزوجان ؟
ماذا ؟ لا .. لا .. "رنا" مازالت صغيره .
كما تشائين !.. كما تشائين .
!
?!


ومرّةً ثانيةً عادت فكرةُ زواجِ "رنا" تقلقُ العجوزَ .
يجبُ أن أخبّئَها في مكانٍ لا يصلُ إليهِ أحدٌ سواي . لِمَ لا آخذُها إلى البرجِ القديمِ في الصحراءِ ؟
وفي صباحِ اليومِ التالي ....
"رنا" .. سنقومُ اليومَ بنزهةٍ إلى الصحراءِ .. فهناك سترينَ شيئاً لم تشاهدي مثلَهُ من قبل .
قادتِ العجوزُ "رنا" إلى البُرجِ القديمِ في الصحراءِ .
أرأيتِ هذا البرجَ .. إنّه لكِ بعدَ موتي .
وما يوجدُ في أعلى البُرجِ ؟
إصعدي وشاهدي بنفسِكِ .


إسمعيني جيداً يا "رنا" .. أنا أحبكِ كثيراً ولا أريدُ أن يأخذكِ أحدٌ مني .. لهذا سأتركُكِ هنا وسأقومُ بزيارتكِ يومياً. إنتبهي لا توجدُ في هذا المبنى أيّة أبواب أو سلالم .. كلّما زُرتكِ تنزلي شعرك ..
ثمّ هبطت العجوزُ وحطّمتِ السُّلَّم.


وفي الغدِ جاءَتِ العجوزُ لزيارةِ "رنا".
"رنا"، "رنا" أنزلي شعرَكِ.
إنّها العجوزُ .. رغمَ كُلِّ ما فعلتهُ بي ما زلتُ أُحبُّها.
وأنزلَت "رنا" شعرَها مِنَ النافذةِ.


وإذ لامسَ شعرُ رنا الأرضَ . أمسكتِ العجوزُ بهِ كأنّهُ حبلٌ وتسلّقت حائطَ البرجِ ...
... وتسلّقت ...
... وتسلّقت ...
حتّى بلغتِ النافذة .
صباح الخير يا عزيزتي كيفَ تشعرينَ اليوم ؟


كانت العجوز الزائر الوحيد لـ "رنا" ومع الوقت، ضجرت "رنا" من العيش وحيدة وصارت تغني لتؤنس وحدتها.
في هذه الأثناء كان "سمير" ابن الجارة الثرثارة، قد بدأ يقلق لغياب "رنا" المستمر.
ما دامت العجوز تدعي أن "رنا" قد عادت الى والديها، فلِمَ غيابها يومياً عن منزلها ولفترة محدودة من الوقت، الى أين تذهب يا ترى؟ إدعاءاتها أقنعت والدي ولكنها لن تقنعني بسهولة.
وفي صباح اليوم التالي، تبع سمير العجوز خلسة.
"رنا" "رنا" أنزلي شعرك.
!
أليس هذا شعر "رنا"؟ إن العجوز تستخدمه كسلم سأنتظر هنا حتى تذهب العجوز ثم أتسلق انا بالطريقة ذاتها.


ولما غادرت العجوز المكان..
"رنا"، "رنا"، أنزلي شعرك.
أتكون العجوز قد عادت؟ فلأنظر.
!
سمير!.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟
أنزلت "رنا" شعرها فتسلق "سمير".


جئتُ أُخرجُكِ من هذا المكانِ لأتزوجَكِ.
حقاً! ولكن ماذا يحلُّ بي إذا عرفتِ العجوزُ أنكَ اكتشفتَ مكاني.
حاذري، ولتكتُم كلَّ شيءٍ عن العجوز.
وأنتَ .. لا تُخبرْ والدتكَ بأنكَ اكتشفتَ مكاني لئلا تُخبرَ العجوزَ سهواً.
لابدَّ أن تكونَ هناكَ طريقةٌ أُخرجُكِ بها من هُنا.
تدارسَ سميرُ ودُنا جميعَ الخططِ المُمكِنةِ لإنزالِ دُنا من أعلى البرج.

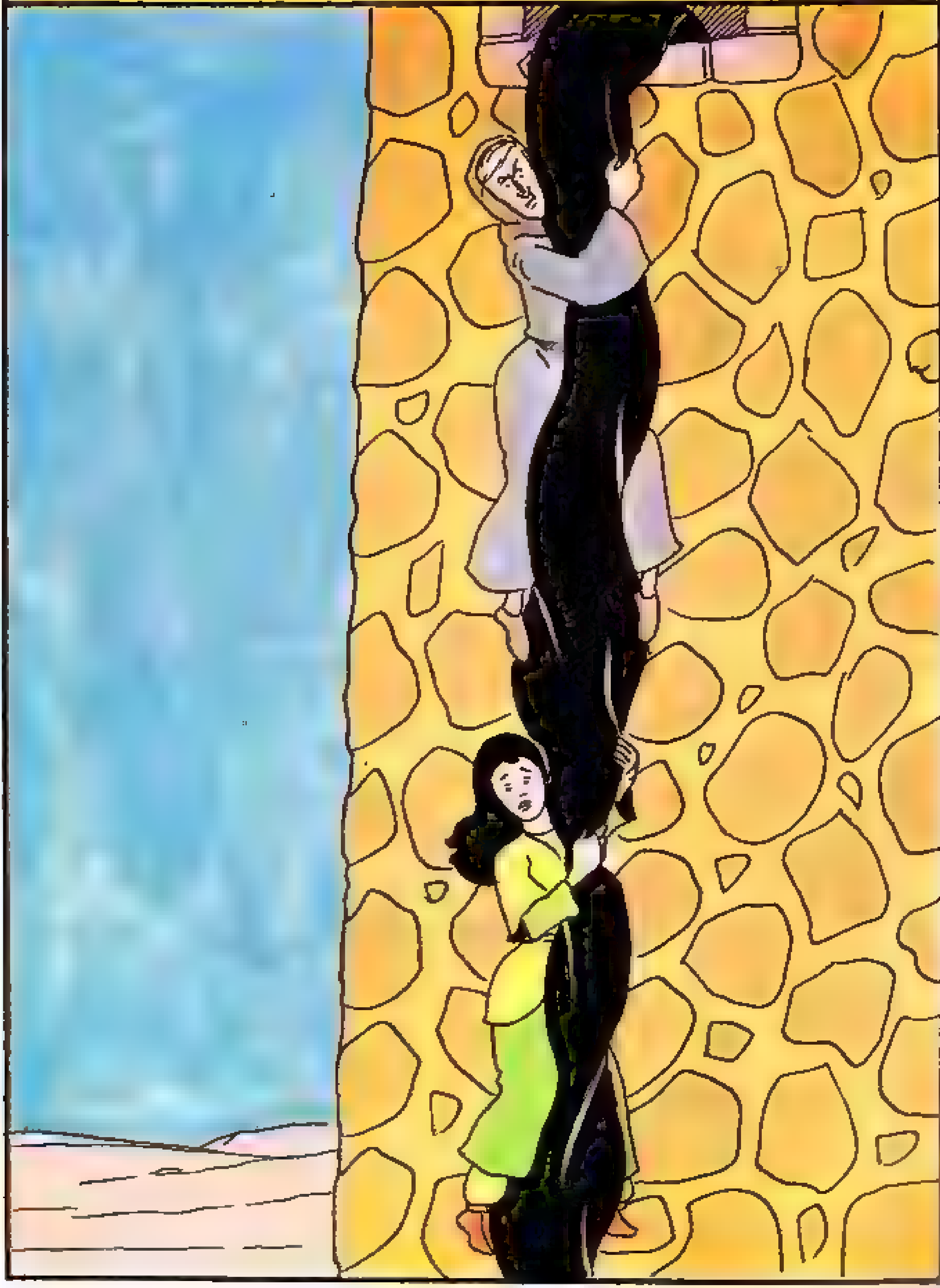

وأخيراً اهتديا إلى خطة ممتازة ...
عندما تأتي لزيارتي كل يوم، أحضر معك شلة من الحرير، وأنا أحوكها سلماً. ومتى أصبح السلم بطول هذا البناء أنزل عليه.
على الرغم من أن هذه الطريقة تستغرق وقتاً طويلاً إلا أنها تغنيك عن قص شعرك الجميل لاستعماله سلماً تنزلين عليه.
مضت فترة من الزمن كان سمير يحضر معه كل يوم شلة جديدة من الحرير تضيفها "رنا" إلى السلم الذي تحوكه.
العجوز تناديني .. فلأخف سلم الحرير.


كلُّ هذا والعجوزُ لا تُلاحظُ شيئاً . وفي أحدِ الأيّامِ ...
قولي لي لماذا أنتِ أثقلُ وزناً من "سعيد" .
!!!
ماذا ؟ "سعيد" ! كيفَ عرفتِ أنّهُ أخفُّ منّي وزناً .
ما أغباني ! تسرّعتُ .
أيّتُها الشرّيرة ! ظننتُ أنّني أبعدُكِ عن العالمِ كلِّه ... خدعتِني .



استمعي إليَّ قليلاً.. منذ مدة وسمير يأتي لزيارتي كل يوم.. إنه يريد أن يتزوجني.
فتاة شريرة! لن أدع "سميراً" يراكِ ثانية.
سأقصُّ شعركِ ومِن ثمّ تغادرين هذا المكان.
وفي أقلّ مِن لحظات ...

ربطتِ العجوزُ ضفيرةَ شعرِ "رنا" بإفريزِ النافذةِ و...




أمسكت العجوزُ بيدِ "رنا" وقادتها إلى طرفِ الصحراء.
سأربطُ يديها إلى هذهِ الشجرة .. لا بُدّ أن أرجع إلى البرج لأنتظرَ مجيءَ "سمير" وأعاقبه.
أرجوكِ لا تتركيني هنا وحدي.
سأعودُ في المساء ولتكنْ شجرةُ النخيلِ هذهِ مؤنستكِ الوحيدةَ أثناءَ غيابي.


عادت العجوز إلى البرج فسحبت ضفيرة الشعر إلى الداخل .
والآن سأجلس هنا انتظر مجيئه . تبقى مشكلة وحيدة : كيف اقنع "رنا" بأنها لي وحدي ؟
ولمّا وصل "سمير"...
"رنا" "رنا" ، أنزلي شعرك .
وصل .. سأنزل ضفيرة الشعر من النافذة .
وبلغ "سمير" نافذة البرج ...
أنت ! ماذا تفعلين هنا ؟ أين "رنا" ؟


ذَهَبَتْ ولَنْ تَراها ثانيةً.
سأبحثُ عنها في كُلِّ مكانٍ حتّى أجدَها.
وهَمَّ "سمير" بالنزول ...
سقطَ "سميرٌ" على الأرضِ ولحُسنِ حظِّهِ لم يُصبْ بأذًى..



ما أغباني! لماذا قطعتُ ضفيرةَ الشَّعرِ؟ لن أستطيعَ مغادرةَ هذا المكانِ بعدَ اليوم.
ركِبَ سميرٌ حصانَهُ وراحَ يبحثُ عن "رنا".
وفي المساءِ بلغَ سميرٌ طرفَ الصحراءِ، فاسترعى انتباهَهُ صوتٌ جميل.
الصوتُ صوتُها.. لابُدَّ أنْ تكونَ قريبةً من هُنا.


وقادَ الحصانَ باتجاهِ الصّوتِ .
" رنا " ! أهذهِ أنتِ ؟
" سمير " !
بحثتُ عنكِ في كلِّ مكانٍ .
كنتُ واثقةً من أنّكَ ستجدني


مضى "سعيدٌ" وبرفقتِهِ "رنا"
إلى منزلِ والدتِه .
علينا أن نُعيدَ العجوزَ لِتعيشَ
بيننا فلو لم تكنْ تحبُّ "رنا" حبًّا
عظيمًا لما فعلتْ كلَّ هذا .
ونزولًا عندَ رغبةِ والدتِهِ ، أنقذَ "سعيدٌ"
العجوزَ من سجنِها في أعلى البرجِ .
أشكرُكم لأنَّكم أنقذتموني .
"رنا" يجبُ ألّا تتمَّ مناسبةُ
زواجِكِ من دونِ أنْ
يشهدَها والدُكِ .


وهكذا تزوَّجَ "سعيدٌ" مِن "رنا" وعمَّتِ الفرحةُ قلوبَ الجميعِ.

لوّن هذا الرسم



مطابع يوسف بيضون
طباعة وتصوير ملك ٣٢٠١٠١

القصص العالمية المصورة



دار المعرفة
بيروت